

تفسير الطبري

جامع البيان عز وجوه تأويل آي القرآن

الجزء الأول

فيه

رسالة التفسير
وتفسير فاتحة الكتاب
وتفسير سورة البقرة
من ١ - ٤٣
والآثار من ١ - ٨٣٩

تفسير الطبرك

لسمائة الرحمن الرحيم

لرحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ •
والحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور •
والحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعل له عِوَجًا •
والحمد لله الذى له ما فى السموات والأرض ، وله الحمد فى الآخرة ،
وهو الحكيمُ الخبيرُ •
والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله •
وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد ، رسول الله وخيرته
من خلقه ، خاتم النبيين ، وأشرف المرسلين •
وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين •
« فَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا كُلَّمَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ ، وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ
الْغَافِلُونَ • وَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ • أَفْضَلَ وَأَكْثَرَ وَأَزْكَى
مَا صَلَّى عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ • وَزَكَّانَا وَإِيَّاكُمْ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، أَفْضَلَ
مَا زَكَّيْ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِهِ بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ »^(١) •

(١) اقتباس من كلام الشافعى ، فى كتابه (الرسالة) ، رقم ٣٩ ، بتحقيقنا •

أما بعد :

فإن هذا التفسير الجليل ، باكورة عمل عظيم ، تقوم به ﴿ دار المعارف بمصر ﴾ ، لإحياء ﴿ تراث الإسلام ﴾ ، وإخراج نفائس الكنوز . التي بقيت لنا من آثار سلفنا الصالح ، وعلمائنا الأفاضل . الذين خدموا دينهم ، وعُنُوا بكتاب ربهم ، وستة نيتهم ، وحفظ لغتهم ، بما لم تصنعه أمة من الأمم ، ولم يبلغ غيرهم معشار ما وفقهم الله إليه .

فكان أول ما اخترنا ، باكورة لهذا المشروع الخطير : كتاب ﴿ تفسير الطبري ﴾ . وما بي من حاجة لبيان قيمته العلمية ، وما فيه من مزايا يندر أن توجد في تفسير غيره . وهو أعظم تفسير رأيناه ، وأعلاه وأثبته . استحق به مؤلفه الحجة أن يسمى (إمام المفسرين) .

وكنت أخشى الإقدام على الاضطلاع بإخراجه وأعظمه ، عن علم بما يكتنف ذلك من صعوبات ، وما يقوم دونه من عقبات ، وعن خبرة بالكتاب دهرًا طويلًا : أربعين سنة أو تزيد .

لولا أن قوًى من عزمي ، وشدة من أزرى ، أخى الأصغر ، الأستاذ محمود محمد شاكر . وهو — فيما أعلم — خير من يستطيع أن يحمل هذا العبء ، وأن يقوم بهذا العمل حق القيام ، أو قريباً من ذلك . لا أعرف أحداً غيره له أهلاً .

وما أريد أن أشهد لأخى أو أثنى عليه . ولكني أقر بما أعلم ، وأشهد بما أستيقن .

وقد أُنِيَ أخى السيد محمود إلا أن يُلْقَى عَلَى بعض العبداء ، بالتعاون
معه فى مراجعة الكتاب ، وبتخريج أحاديثه ، ودَرْس أسانيده . وهذا
— وحده — عملٌ فوق مقدورى . ولكنى لم أستطع التخلّى عنه ،
فقبلتُ وعملتُ ، متوكلاً على الله ، مستعيناً به .

وأسأل الله سبحانه الهدى والسداد ، والرعاية والتوفيق . إنه سميع
الذّاء .

كتبه

أحمد محمد شاكِر

عفا الله عنه بمنه

القاهرة يوم الجمعة ٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا .
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا . وَاتَّخَذُوا مِنْ
دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ
ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا . وَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ
قَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا . وَقَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ
تُنْقَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

...

﴿ قُلْ لَيْسَ اجْتِمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا
الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا . وَلَقَدْ صَرَّفْنَا
لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾

...

والحمد لله الذي أرسل رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين

الْحَقُّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ . ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلَائِكَةُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . هُوَ الَّذِي
بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . وَآخِرِينَ
مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝

...

اللَّهُمَّ إِنَّا نَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ حَوْلٍ وَقُوَّةٍ ، وَنَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَهْدِيكَ ،
وَنَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ غَضَبِكَ ، فَافْغِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَتَبَّ عَلَيْنَا إِنْكَ أَنْتَ
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا
كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ .

...

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ ، وَافِينَ لَكَ بِالْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذْتَ عَلَيْنَا :
أَنْ نَكُونَ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، اللَّهُمَّ اهْدِنَا صِرَاطَكَ
الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ ،
الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ، وَعَلِمُوا أَنَّكَ أَنْتَ الْجَبَّارُ الَّذِي خَضَعْتَ
لِجَبْرُوتِهِ الْجَبَّارَةِ ، وَالْعَزِيزُ الَّذِي ذَلَّتْ لِعِزَّتِهِ الْمُلُوكُ الْأَعْزَّةُ ، وَخَشَعْتَ
لِمَهَابَةِ سَطَوَتِهِ ذُؤُودَ الْمَهَابَةِ ، فَلَمْ يُرْهِبْهُمْ بَنِي بَاغٍ وَلَا ظُلْمُ سَفَاحٍ ظَالِمٍ :
﴿ يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۝ ﴾ . وَلَا تَحْزَنْ اللَّهُ

غَافِلًا عَمَّا يَفْعَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ .
مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتَهُمْ هَوَاهُ ﴿

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ ، وَتَمِّمْدِهِ بِرَحْمَتِكَ ،
وَاجْعَلْهُ مِنَ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، قَدْ كَانَ — مَا عَلِمْنَا —
مِنَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ كِتَابَكَ لِلنَّاسِ وَلَمْ يَكْتُمُوهُ ، وَلَمْ يَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
مِنَ مَتَاعِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ؛ وَمِنَ الَّذِينَ أَدَّوْا مَا لَزِمَهُمْ مِنْ حَقِّكَ ،
وَذَاوُوا عَنْ سُنَّةِ نَبِيِّكَ ؛ وَمِنَ الَّذِينَ وَرَثُوا الْخُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ عِلْمَ مَا عَلَّمُوا ،
وَحَمْلَ أَمَانَةِ مَا سَحَلُوا ، وَخَلَعُوا لَكَ الْأَنْدَادَ ، وَكَفَرُوا بِالطَّاعَةِ ،
وَنَضَحُوا عَنْ دِينِكَ ، وَذَبُّوا عَنْ شَرِيعَتِكَ ، وَأَفْضَوْا إِلَيْكَ رَبَّنَا وَهُمْ
بِمِيثَاقِكَ آخِذُونَ ، وَعَلَى عَهْدِكَ مُحَافِظُونَ ، يَرْجُونَ رَحْمَتَكَ وَيَخَافُونَ عَذَابَكَ .
فَاعْفُ اللَّهُمَّ عَنَّا وَعَنْهُمْ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ ، وَارْحَمْنَا وَارْحَمِهِمْ ، أَنْتَ مَوْلَانَا
فَانصِرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : « إِنِّي لِأَعْجَبُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ
وَلَمْ يَعْلَمْ تَأْوِيلَهُ ، كَيْفَ يَلْتَذُّ بِقِرَاءَتِهِ ؟ » . وَمِنْذُ هَدَانِي اللَّهُ إِلَى الْإِشْتَغَالِ
بِطَلَبِ الْعِلْمِ ، وَأَنَا أَصَاحِبُ أَبِي جَعْفَرٍ فِي كِتَابِيهِ : كِتَابُ التَّفْسِيرِ ، وَكِتَابُ
التَّارِيخِ . قَرَأْتُ تَفْسِيرَهُ صَغِيرًا وَكَبِيرًا ، وَمَا قَرَأْتُهُ مَرَّةً إِلَّا وَأَنَا أَسْمَعُ
صَوْتَهُ يَتَخَطَّى إِلَى الْقُرُونِ : إِنِّي لِأَعْجَبُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَعْلَمْ تَأْوِيلَهُ ،
كَيْفَ يَلْتَذُّ بِقِرَاءَتِهِ ؟ فَكُنْتُ أَجِدُ فِي تَفْسِيرِهِ مُصَدِّقَ قَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ

عنه . بيد أنى كنتُ أجِدُ من المشقة فى قراءته ما أجِد .

كان يستوفى فى القراءة ، كثرةُ القُصُولِ فى عبارته ، وتباعدُ أطرافِ الجُمْلِ . فلا يسلِمُ لى المعنى حتى أعيد قراءةُ الفقرة منه مرتين أو ثلاثاً . وكان سبب ذلك أننا ألفنا نهجاً من العبارة غيرَ الذى اتَّهَجَ أبو جعفر ، ولكن تبين لى أيضاً أن قليلاً من الترقيم فى الكتاب ، خليقٌ أن يجعلَ عبارته أيسرَ . فلما فعلتُ ذلك فى أنحاء متفرقة من نسختى ، وعدتُ بعدُ إلى قراءتها ، وجدتها قد ذهب عنها ما كنتُ أجِد من المشقة . ولما راجعتُ كتب التفسير ، وجدتُ بعضهم ينقلُ عنه ، فينسبُ إليه ما لم أجده فى كتابه ، فتبين لى أن سبب ذلك هو هذه الجمل التى شقتُ على قراءتها . يقرؤها القارىءُ ، قريباً خطأ مُرادَ أبى جعفر ، وربما أصاب . فتمنيتُ يومئذٍ أن ينشر هذا الكتاب الجليلُ نشرةً صحيحةً محققةً مرقمةً ، حتى تسهلَ قراءتها على طالب العلم ، وحتى تجنبه كثيراً من الزلل فى فهم مُراد أبى جعفر .

ولكن تبين لى على الزمن أن ما طبع من تفسير أبى جعفر ، كان فيه خطأ كثيرٌ وتصحيفٌ وتحريفٌ ، ولما راجعتُ التفاسير القديمة التى تنقلُ عنه ، وجدتهم يتخطون بعض هذه العبارات المصحفة أو المحرفة ، فعلمتُ أن التصحيف قديمٌ فى النسخ المخطوطة . ولا غرو ، فهو كتابٌ ضخْمٌ لا يكادُ يسلِمُ كلُّ الصواب لناسخه . وكان للذين طبعوه عذرٌ قائمٌ ، وهو سقمُ مخطوطاته التى سلت من الضياع ، وضخامة الكتاب ، واحتياجه إلى مراجعة مئات من الكتب ، مع الصبر على المشقة والبصر بمواضع

اتَّخَلَّلَ . فَأَضْرَتْ فِي نَفْسِي أَنْ أُنْشِرَ هَذَا الْكِتَابَ ، حَتَّى أُوَدِّيَ بَعْضَ حَقِّ اللَّهِ عَلَيَّ ، وَأَشْكُرَ بِهِ نِعْمَةَ أَنْالِهَا — أَنَا لَهَا غَيْرُ مُسْتَحَقٍّ — مِنْ رَبِّ لَا يُؤَدِّي عَبْدٌ مِنْ عِبَادِهِ شُكْرَ نِعْمَةٍ مَاضِيَةٍ مِنْ نِعْمِهِ ، إِلَّا بِنِعْمَةٍ مِنْهُ حَادِثَةٍ تَوْجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُؤَدِّيَ شُكْرَهَا ، هِيَ إِقْدَارُهُ عَلَى شُكْرِ النِّعْمَةِ الَّتِي سَلَفَتْ ؛ كَمَا قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَتَصَرَّمَ الزَّمَنُ ، وَتَقَانَتِ الْأَيَّامُ ، وَأَنَا مُسْتَهْلِكٌ فِيهَا لَا يُغْنِي عَنِّي شَيْئًا يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . حَتَّى أَقْطَعَنِي عَدَوَانُ الْعَادِينَ ، وَظُلْمُ الظَّالِمِينَ ، وَطُغْيَانُ الْجَبَّارَةِ الْمُتَكَبِّرِينَ ، فَفَقَدْتُ الْعِزَّمَ عَلَى طَبْعِ هَذَا التَّفْسِيرِ الْإِمَامِ ، أَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ .

وَأَفْضَيْتُ بِمَا فِي نَفْسِي إِلَى أَخِي الْأَكْبَرِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ مُحَمَّدَ شَاكِرٍ — أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، وَأَقْبَسَنِي مِنْ عِلْمِهِ — فَرَأَى أَنْ تَنْشُرَهُ « دَارُ الْمَعَارِفِ » ، بِأَكُورَةِ أَعْمَالِهَا فِي نَشْرِ « تَرَاثِ الْإِسْلَامِ » . وَلَمْ يَمُضْ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى أَعَدَّتْ الدَّارُ عُذَّتْهَا لِنَشْرِ هَذَا الْكِتَابِ الضَّخْمِ ، مُشْكُورَةً عَلَى مَا بَذَلْتَهُ فِي إِحْيَاءِ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ .

وَكُنْتُ أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ فِي نَشْرِ هَذَا الْكِتَابِ مِشَارَكَةً بَيْنِي وَبَيْنَ أَخِي فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ ، وَلَكِنْ حَالَتْ دُونِ ذَلِكَ كَثْرَةُ عَمَلِهِ . وَلَيْتَهُ فَعَلَ ، حَتَّى أَسْتَفِيدَ مِنْ عِلْمِهِ وَهَدَايَتِهِ ، وَأَتَجَنَّبَ مَا أَخَافُ مِنْ الْخَطَا وَالزَّلَالِ ، فِي كِتَابٍ قَالَ فِيهِ أَبُو عَمْرِو الزَّاهِدُ ، غَلَامٌ ثَعْلَبُ : « قَابِلْتُ هَذَا الْكِتَابَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ حَرْفًا خَطَأً فِي نَحْوِ أَوَّلِهِ » . وَأَتَى لِمَثَلِي أَنْ يَحَقِّقَ كَلِمَةُ أَبِي عَمْرِو فِي كِتَابِ أَبِي جَعْفَرٍ !

ونحن أهل زمانٍ أوتوا من العجز والتهاون ، أضعافَ ما أوتي أسلافهم
من الجدة والقدرة !

فتفضل أخى أن ينظرُ في أسانيد أبى جعفر ، وهى كثيرة جدًّا ،
فيتكلم عن بعض رجالها ، حيثُ يتطلب التحقيق ذلك ، ثم يخرج جميع
ما فيه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن وجدَ بعد ذلك
فراغًا نظرَ فى عملى وراجعه واستدرك عليه . فشكرتُ له هذه اليدَ التى
طوتنى بها ، وكَم له عندى من يدٍ لا أملك جزاءها ، عند الله جزاؤها
وجزاء كلِّ معروفٍ . وحسبه من معروف أنه سدَّ خطاى صغيرًا ،
وأعانتى كبيرًا .

وتوليتُ تصحيحَ نصِّ الكتاب ، وضبطه ، ومقابلته على ما بين أيدينا
من مخطوطاته ومطبوعاته ، ومراجحته على كتب التفسير التى نقلت عنه .
وعَلَّقتُ عليه ، وبَيَّنتُ ما استغلقَ من عبارته ، وشرحتُ شواهد من
الشعر . وبذلتُ جُهدى فى ترقيمه وتفصيله . فكلَّ ما كان فى ذلك من
إحسانٍ فمن الله ، وكلَّ ما فيه من زللٍ فتنى ومن عجزى ، ولا حول
ولا قوة إلا بالله .

والنسخ المخطوطة الكاملة من تفسير الطبرى ، لا تكادُ تُوجد ، والذى
مِنها فى دار الكتب أجزاء مفردة من الجزء الأول ، والجزء السادس
عشر ، ومنها مخطوطة واحدة كانت فى خمسة وعشرين مجلدًا ضاع منها
الجزء الثانى والثالث ، وهى قديمةٌ غير معروفة التاريخ . وهى على ما فيها
تكادُ تكون أصحَّ النسخ . وهى محفوظة بالدار برقم : ١٠٠ تفسير .

فجعلتها أماً لتشر هذا الكتاب. أما سائر المخطوطات فهي سقيمة رديئة ،
لم تنفع في كثير ولا قليل ، فضلاً عن أنها قطع صغيرة منه .

فنهجتُ نهجاً آخر في تصحيح هذا التفسير ، وذلك بمراجعة ما فيه
من الآثار على كتاب « الدرّ النثور » للسيوطي ، « وفتح القدير »
للشوكاني ، فوما يكثران النقل عن تفسير أبي جعفر . أما ابن كثير في
تفسيره ، فإنه لم يقتصر على نقل الآثار ، بل نقل بعض كلام أبي جعفر
بنصّه في مواضع متفرقة ، وكذلك نقل أبو حيان والقرطبي في مواضع
قليلة من تفسيريهما . فقابلتُ المطبوع والمخطوط من تفسير أبي جعفر على
هذه الكتب . وكنت في هذا الجزء الأوّل من التفسير أذكر مرجع
كل أثر في هذه الكتب ، ثم وجدتُ أن ذلك يطيل الكتاب على
غير جدوى ، فبدأت منذ الجزء الثاني أغفل ذكر المراجع ، إلا عند
الاختلاف ، أو التصحيح ، أو غير ذلك مما يوجب بيان المراجع .

وراجعتُ كثيراً مما في التفسير من الآثار ، على سائر الكتب التي
هي مظنة لروايتها ، وبخاصّة تاريخ الطبري نفسه ، ومن في طبقة من
أصحاب الكتب التي تروى الآثار بالأسانيد . وبذلك استطعتُ أن أحرّر
أكثرها في الطبري تحريراً أرجو أن يكون حسناً مقبولاً .

أما ما تنكلم فيه من النحو واللغة ، فقد راجعته على أصوله ، من
ذلك « تجاز القرآن » لأبي عبيدة ، « ومعاني القرآن » للفراء ، وغيرها
ممن يذكر أقوال أصحاب المعاني من الكوفيين والبصريين .

وأما شواهدُه فقد تتبعْتُ ما استطعتُ منها في دواوين العرب ، ونسبت

ما لم يكن منها منسوباً ، وشرحتها ، وحققت ما يحتاجُ إلى تحقيق من قصائدها ، مختصراً في ذلك ما استطعت .

وقد رأيتُ في أثناء مراجعاتي أن كثيراً من نقل عن الطبري ، ربما أخطأ في فهم مراد الطبري ، فاعترض عليه ، لما استعلق عليه بعض عبارته . فقيدت بعض ما بدا لي خلال التعليق ، ولم أستوعب ذلك استيعاباً مخافة الإطالة ، وتركته كثيراً مما وقفتُ عليه من ذلك في الجزء الأول ، ولكنني أرجو أن أستدرك ما فاتني من ذلك في الأجزاء الباقية من التفسير إن شاء الله ربنا سبحانه .

وبينتُ ما وقفتُ عليه من اصطلاح النحاة القدماء وغيرهم ، بما استعمله الطبري ، وخالفه النحاة وغيرهم في اصطلاحهم ، بعد ذلك ، إلى اصطلاح مُستحدث . وربما فاتني من ذلك شيء ، ولكنني أرجو أن أبين ذلك فيما يأتي من الأجزاء . وقد وضعتُ فهرساً خاصاً بالمصطلحات ، في آخر كل جزء ، حتى يتيسر لطالب ذلك أن يجد ما استبهم عليه من الاصطلاح في موضع ، في جزء آخر من الكتاب .

وكنْتُ أحبُّ أن أبين ما افترده به الطبري من القول في تأويل بعض الآيات ، وأشرح ما أغفله المفسرون غيره ، ولكنني خفتُ أن يكون ذلك سبباً في زيادة الكتاب طولاً على طوله ؛ مع أني أرى أن هذا أمرٌ يكشف عن كتاب الطبري ، ويزيدنا معرفة بالطبري المفسر ، وبمنهجه الذي اشتق في التفسير ، ولم يختلف المفسرون من بعده ، فأغفلوا ما حرصَ هو على بيانه ؟

وكنتُ أحبُّ أيضاً أن أسهّل على قارى كتابه ، فأجل في آخر
الآياتِ المتتابعة التي انتهى من تفسيرها ، مُلخصاً يجمع ما تفرّق في عشراتِ من
الصفحات . وذلك أنى رأيتُ نفسى قديماً ، ورأيتُ المفسّرين الذين تقلّوا عنه ،
كانوا يقرأون القطعة من التفسير مفصولةً عما قبلها ، أو كانوا يقرأونه متفرّكا .
وهذه القراءةُ ، كما تبين لي ، كانتُ سبباً في كثيرٍ من الخلط في معرفة مُرادِ
الطبرى ، وفي نسبة أقوالٍ إليه لم يقلها . لأنّه لما خاف التكرار لطول الكتابِ ،
اقتصَرَ في بعض المواضع على ما لا بدّ منه ، ثقةً منه بأنّه قد أبان فيما مضى من
كتابه عن نهجه في تفسير الآيات المتصلة المعاني . والقارىّ الملتبس لمعنى آيةٍ من
الآياتِ ، ربّما غفل عن هذا الترابط بين الآية التي يقرأها ، والآيات التي سبقَ
للطبرى فيها بيانٌ يتصل كل الاتصال ببيانه عن هذه الآية . ولكنى حين
بدأتُ أفعل ذلك ، وجدت الأمر شاقاً عسيراً ، وأنه يحتاجُ إلى تكرار
بعض ما مضى ، وإلى إطالة في البيان . وهذا شيءٌ يزيدُ التفسيرَ طولاً وضخامةً .
ولمّا رأيتُ أن كثيراً من العلماء كان يعيبُ على الطبرى أنه حشدَ في
كتابه كثيراً من الرواية عن السالفين ، الذين قرأوا الكتبُ ، وذكرُوا
في معاني القرآن ما ذكروا من الرواية عن أهل الكتّابين السالفين :
التّوراة والإنجيل — أحببتُ أن أكشف عن طريقة الطبرى في الاستدلال
بهذه الرواياتِ روايةً روايةً ، وأبين كيف أخطأ الناسُ في فهم مقصده ،
وأنّه لم يجعل هذه الروايات قطعاً مهيمنةً على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل
من يديه ولا من خلفه . وأحببتُ أن أبين عند كلّ روايةٍ مقالة الطبرى في
إسنادها ، وأنه إسنادٌ لا تقوم به حُجّةٌ في دين الله ، ولا في تفسير كتابه ،

وأن استدلاله بها كان يقوم مقام الاستدلال بالشعر القديم ، على فهم معنى كلمة ، أو للدلالة على سياق جملة . وقد علفتُ في هذا الجزء ١ : ٤٥٤ ، ٤٥٨ ، وغيرها من المواضع تعليقاً يبينُ عن نهج للطبرى في الاستدلال بهذه الآثار ، وتركتُ التعليقَ في أما كنَ كثيرة جداً ، اعتماداً على هذا التعليق . ورأيتُ أن أدعَ ذلك حتى أكتب كتاباً عن « الطبرى المفسر » بعد الفراغ من طبع هذا التفسير . لأنى رأيتُ هناك أشياء كثيرة ، ينبغي بيانها ، عن نهج الطبرى في تفسيره . ورأيتنى يحذّر لى كُلَّ يوم جديدٍ في معرفة نهجه ، كلما زدتُ معرفةً بكتابه ، وإلفاً لطريقته . فاسأل الله أن يعينى أن أفردَ له كتاباً فى الكلام عن أسلوبه فى التفسير ، مع بيان الحجّة فى موضع موضع ، على ما تبين لى من أسلوبه فيه . ورحمَ الله أبا جعفر ، فإنه ، كما قال ، كان حدّث نفسه بهذا التفسير وهو صبيٌّ ، واستخار الله فى عمله ، وسأله العونَ على ما نواه ، ثلاث سنين قبل أن يعملهُ ، فأعانه الله سبحانه . ثم لما أراد أن يعلى تفسيره قال لأصحابه : أنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدره ؟ فقال : ثلاثون ألف ورقة . فقالوا : هذا ممّا تفتنى فيه الأعمارُ قبل تمامه ! فاختره لهم فى ثلاثة آلاف ورقة . فكان هذا الاختصار سبباً فى تركه البيانَ عما نجتهد نحنُ فى بيانه عند كل آية . وهذا الاختصارُ يبيّنُ جداً لمن يتتبع هذا التفسير من أوله إلى آخره .

هذا وقد كنتُ رأيتُ أن أكتب ترجمةً للطبرى أجعلها مقدّمةً للتفسير . ولكننى وجدت الكتابة عن تفسيره فى هذه الترجمة ، لن تيسّر لى

إلا بعد الفراغ من كتابه ، وكشف النقاب عما استبهم من منهاجه في تفسيره . فأعرضت عن ذلك ، وقلت أجمع ترجمة للطبرى ، فجمعتُ كُلَّ ما في الكتب المطبوعة والمخطوطة من ترجمة وأخبار ، وما قيل في تصانيفه وتعدادها ، فإذا هي قد تجاوزت ما يمكن أن يكونَ ترجمةً في صدر هذا التفسير ، فأثرتُ أن أفردا كتاباً قائماً بنفسه ، سوف يخرجُ قريباً بعون الله سبحانه .

أما الفهارسُ ، فإنني كنت أريدُ أن أدعها حتى أفرغَ من الكتاب كُلِّه ، فأصدرها في مجلداتٍ مستقلة ، ولكن الكتابَ كبيرٌ ، وحاجةُ الناسِ ، وحاجتي أنا ، إلى مراجعة بعضه على بعض ، وربط أوله بآخره أوجبتُ أن أتعجلَ فأفرد بعض الفهارس مع كُلِّ جزء . فجعلتُ فهرساً للآيات التي استدلتُ بها في غير موضعها من التفسير . فقد تبين لي أنه ربّما ذكر في تفسير الآية في هذا الموضع ، قولاً في الآية لم يذكره في موضعها من تفسير السورة التي هي منها .

وأفردت فهرساً ثانياً لألفاظ اللغة ، لأنه كثير الإحالة على ما مضى في كتابه ، وليكون هذا الفهرس مرجعاً لكل اللّغة التي رواها الطبرى ، وكثير منها مما لم يرد في المعاجم ، أو جاء يسانه عن معانيها أجودَ من بيان أصحاب المعاجم . وهو فهرسٌ لا بُدَّ أن يتم عند كُلِّ جزء ، حتى لا يسقط على شيءٍ من لغة الطبرى .

وأفردت فهرساً ثالثاً لمباحث العربية ، لأنه كثيراً ما يحيلُ على هذه المواضع ، ولأنّ فيها نفعا عظيماً تبينتهُ وأنا أعمل في هذا التفسير . وزدت

فهرساً رابعاً للمصطلحات القديمة التي استحدث الناس غيرها ، ليسهل على قارئ كتابه أن يجد تفسيرها في موضعها ، فإنني لم أفسرها عند كل موضع ذكرت فيه ، لكثرة تكرارها في الكتاب . وفهرساً خامساً ، هو ردوده على الفرق وأصحاب الأهواء .

وأفردت فهرساً سادساً للرجال الذي تكلم عنهم أخى السيد أحمد في المواضع المتفرقة من التفسير ، حتى يسهل على من يريد أن يحقق إسناداً أن يجد ضالته . فإنه حفظه الله ، لم يلتزم الكتابة على الرجال عند كل إسناد . وهذا فهرس لا بد منه مع كل جزء حتى لا تتكرر الكتابة على الرجال في مواضع مختلفة من الكتاب ، ولتصحح أسماء الرجال حيث كانوا من التفسير .

أما الفهرس العام للكتاب ، فقد اقتصر فيه على ذكر ما سوى ذلك ، ولم أذكر فيه بدءاً في تفسير كل آية ، لأن آيات المصحف مرقمة ، وأثبتنا أرقام الآيات في رأس الصفحات . فمن التمس تفسير آية ، فليستخرج رقمها من المصحف ، وليطلب رقمها في تفسير الطبري من رؤوس الصفحات .

• • •

هذا ، وقد تركت أن أصنع للشعر فهرساً مع كل جزء ، فإنني سأجعل له فهرساً مفرداً بعد تمام طبع الكتاب ، على نمط اخترته لصناعته . وأما فهارس الكتاب عامة ، فستكون بعد تمام الكتاب كله . وهي تشمل فهارس أساسيد الطبري ، على طراز أرجو أن أكون موفقاً في اختياره وعمله . ثم فهرس الأعلام ، وفهرس الأماكن ، وفهرس المعاني ،

والفهارس الجامعة لما أفردته من الفهارس مع كل جزء . وهذا شيء لا بُدَّ
منه ، لضبط ما في التفسير من مناحي العلم المختلفة ، وليتيسر على الطالب أن
يجد بُقيته حيث شاء من كتاب الطبرى ، لأنه كثير الإحالة في كتابه
على ما مضى منه .

• • •

وبعد ، فقد بذلتُ جهدى ، وتحريتُ الصوابَ ما استطعتُ ،
وأردتُ أن أجعلَ نشرَ هذا الكتابِ الإمامِ في التفسير ، زُلْفَى إلى الله
خالصةً . ولكن كيف يخلصُ في زماننا عملٌ من شائبة تشوبه ! فأسألُ
الله أن يتقبلَ منى ما أخلصتُ فيه ، وأن يغفرَ لى ما خالطه من أمرٍ
هذه الدنيا ، وأن يتغمّدنى برحمته يومَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بَنُونَ ، إِلَّا
مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ . وأضرعَ إليه أن يغفرَ لنا ولإخواننا الَّذِينَ
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَآخَرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

محمود محمد شاكر